تمهيد

منذ مدة ليست بالقصيرة، وأنا أشعر بالقلق إزاء الإحساس العميق بفقدان البوصلة الفكرية الذي يبدو أنه يعتري العديد من مؤسساتنا الثقافية، وجامعاتنا، ومدارسنا. يستحق الناس مناظرة فكرية على درجة رفيعة من الجودة من مؤسساتنا الثقافية؛ كما يستحق هؤلاء، بوصفهم جمهوراً يحمل إمكانات كامنة كبيرة، درجة أكبر من الاحترام. لقد كُتب هذا الكتاب من أجل الرجال والنساء الكُثُر الذين يتطلعون إلى حياة فكرية وثقافية تثير قدراً أكبر من التحديات.

لقد تم تطوير الأفكار المقدمة في كتاب أين ذهب كل المثقفين؟ عبر نقاشات مطوَّلة مع الأصدقاء والزملاء. لقد ساعد السيل المستمر من الرسائل التي تلقيتها رداً على مقالاتي حول الجامعة في «ملحق التعليم العالي لجريدة التايمز» في إقناعي بأن عدداً كبيراً من الناس كانوا يشاطرونني مخاوفي. وأظهرت النقاشات التي أجريتها مع أصدقاء في الولايات المتحدة أن التسطيح (dubming down) المؤسسي لم يكن مجرد مشكلة بريطانية. وساعد مؤتمر مهم حول المثقف المهتم بالشأن العام نظّمه معهد الأفكار في لندن في صيف عام 2003، في إعادة توجيه هذه الدراسة نحو استكشاف السؤال الأوسع المتمثل في الأوجه السياسية للثقافة.

تلقيت طوال مدة كتابة هذا الكتاب تغذية راجعة مستمرة ونقداً من جوزي آبلتون، وهي مسؤولة عن اتجاه العديد من المجادلات التي أقدمها، سواء كانت صائبة أو غير صائبة. كما أنني اكتسبت قدراً كبيراً من الفهم المعمق بفضل إسهامات اثنتين من كبار باحثي معهد الأفكار، وهما تيفاني جينكينز وكلير فوكس. وقد ساعدتني زميلتي ماري إيفانز التي كانت تكمل كتابها موت الجامعة في تحمل الألم. أما جيني بريستو فقد ساعدتني في تحويل المخطوط إلى نص أكثر قابلية للقراءة. وأود أن أعبر عن امتناني لأنتوني هينز المحرر الذي يساعدني في كونتينووم، لدعمه الكبير في سائر مراحل هذا المشروع.

لقد شجعتني الاستجابة الإيجابية للطبعة الأولى من هذا الكتاب على توضيح بعض القضايا التي تصدى نقادي لتفنيدها، وقد أضيفت كلمة ختامية لهذه الطبعة.